

تفريغ لمحاضرة - حول كتاب (جسر الإستراتيجية) لـ كولن جراي

محاضرة د. محمد بريك

أولاً مقدمة:

- قيمة النظرية الإستراتيجية (ليس أنها تضع رويشتات تفصيلية لتحليل المسارات وظواهر الصراع، أو تضع رويشتات لإدارة الصراع أو صنع الإستراتيجية، وإنما) بالأساس: تعميق الإدراك والملكات التفسيرية العامة، وقدر الذهن الإستراتيجي بحيث يتعامل مع ظواهر الصراع واستراتيجيته بشكل أكثر عمقا وإلمامًا، ولا يضيع في التفاصيل، ولكن يركز على الأسئلة الجوهرية ويحاول أن يجيب عليها.

- محاولة الإجابة هذه: جزء منها خاص بالبناء الذاتي والملكات التي تتراكم وتتكون على مدار السنين، والتحليل النقدي والتدريبي على الواقع المعاصر، ثم الدخول في مساحات الإلمام ببيئة الصراع (ومحركاته) عبر دراسات في التاريخ والجغرافيا والتوازن العسكري وطبيعة النظم السياسية وتحيزاتها الشخصية والمؤسسية وهكذا.

- الجزء التكويني في المهارة نفسها: يحصل من خلال مقارنة التاريخ بشكل نقدي، والواقع كذلك، لكل حالة ولكل إستراتيجية لها بيئتها وسياقاتها الخاصة أو المستقلة.

- النظرية الإستراتيجية العامة، وإن كانت تبدو للبعض مغرقة في تجريديتها؛ لكنها تؤسس لصُلب التفكير الإستراتيجي والمind set، والتركيب العقلي والإدراكي للتعامل مع ظاهرة الصراع. وهذا أمر حيوي وجوهري.

- النظرية الإستراتيجية العامة تعنى بالقواعد والأفكار المؤسسة بشكل يتجاوز السياقات والخصوصيات الحاكمة على كيفية توظيف وإدارة أدوات القوة، وبالأخص القوة العسكرية؛ لتحقيق النهاية السياسية.

- كتاب (Modern Strategy) لـ كولن جراي: من أهم دراساته، ويتعامل مع مسألة "البيئات الإستراتيجية".

- لدى كولن جراي قيمة أساسية "نقدية" - أي في نقد التجربة الغربية في الحرب والاستراتيجية: أنه بالرغم من ضخامة موارد الحالة الغربية وتوافر درجة كبيرة من القدرة على تحقيق إنجاز عسكري، إلا أن هناك ضمور كبير في الحس الاستراتيجي عندها، منبعه: ضمور الجودة والكفاءة المتوفرة في العنصر البشري القائد، والحل الوحيد لهذا الأمر هو "تعليم الإستراتيجية". وهذه خلاصة اهتماماته منذ التسعينات وحتى وفاته.

- يعيبه أن لغته كانت شديدة التعقيد والبهرجة، وكان ناقدًا راديكاليًا حادًا -، مما جعل هناك زهد في أطروحاته أحيانًا، ولكنه مُقدّر عمومًا بالأخص في مجتمعات بعينها لدوره الوظيفي بها (مثل القوات الفضائية والجوية الأمريكية، والدائرة النووية)

- كتاب جسر الإستراتيجية: جاء كمحاولة من كولن جراي لوضع نظرية متكاملة في الإستراتيجية، محاولاً الإجابة على 4 أسئلة نظرية جوهرية:

1. ما هي الاستراتيجية؟
2. من يصنع الإستراتيجية؟ وكيف؟
3. كيف تطبق الإستراتيجية؟
4. عن آثار الإستراتيجية وتبعاتها.

- يقصد بالجسر:

- محاولة التجسير بين الإستراتيجية بمعناها النظري، وبين الإستراتيجية كتطبيق.
- الإستراتيجية ذاتها جسر بين الأدوات العسكرية، وبين النهايات السياسية (كسلوك ومسارات).

- الكتاب قسمان:

الأول: عن الجانب النظري في 3 فصول. (لخص عبر 21 قاعدة، مفهومه للنظرية الاستراتيجية العامة)
الثاني: عن الجانب التطبيقي. غير أنه ركز أكثر على "مشكلات" التطبيق، دون التركيز على "التطبيق" ذاته..

الأسئلة الأساسية النظرية الجوهرية الأربعة

السؤال الجوهرى الأول: ما هي الإستراتيجية؟

1. "الاستراتيجية العامة هي التوجيه والاستخدام لأي أو كل أصول المجتمع الأمنى - بما في ذلك الأداة العسكرية ومسارات القوة-، لأجل تحقيق النهاية السياسية/أغراض السياسة التي تقررها السياسة"

1. "Grand Strategy is the direction and use made of any or all the assets of a security community, including its military instrument, for the purposes of policy as decided by politics"

- لابد من التمييز بين: policy و politics خاصة أنهما مرتبطان ببعضهما.

Policy: يضع الكيان السياسي الأهداف العليا التي على أساسها يتم تحريك الأدوات لتوصيلها.

Politics: النشاط الجاري لتقاسم وتوزيع مصادر القوة السياسية داخل أي نظام، سواء بين الأحزاب والقوة غير الحزبية، أو بين مؤسسات الدولة.

- وبينهما علاقة أساسية ، لأن من يستطيع أن يضع Policy/سياسة عامة ويمتلك أدوات داخل الكيان السياسي لأجل تحريكها، هو من يستطيع أن يتقدم في مساحة تحصيل النفوذ السياسي عن طريق Politics.

- النقاش الإستراتيجي هنا يدور حول: هل ستسفر هذه Politics عن قوةٍ ما تمتلك زمام الأمور تصنع سياسة، ولديها القدرة على تحريك الأدوات لتحقيق هذه السياسة؟!

- هناك فارق بين الإستراتيجية العظمى (Grand Strategy)، والإستراتيجية الشاملة (Comprehensive Strategy).

العظمى: طويلة المدى، مرتبطة بإدارة محطات الصراع؛ لأجل تحقيق النهايات العليا، سواء حرب أو سلم.

الشاملة: أدوات القوة (عسكرية وغير عسكرية) ضمن حالة معينة من حالات الحرب أو الصراع، بما في ذلك من تحريك أدوات وإمكانات دولة أو شبه دولة لمهمة الحرب.

هذا تقسيم أختاره، وهو حاضر في بعض الأدبيات والعقائد القتالية (البريطانية تحديدا)، وإن كان ليدل هارت استخدم الاستراتيجية العظمى ليُعبّر عن الأمرين. جراي - كما هو شائع- يقصد بالعظمى طويلة الأمد بالأساس ولكن يستخدمها بالحس الآني الشامل كذلك.

2. "الاستراتيجية العسكرية هي توجيه واستخدام القوة - العسكرية المبنية جيداً، والتهديد باستخدامها؛ لأغراض السياسة وفق ما تقرره السياسات".

2. "Military strategy is the direction and use made of force and the threat of force for the purposes of policy as decided by politics"

* ففي المساحة - داخل الاستراتيجية الشاملة- المنوطة بالأداة العسكرية - - تطويعها وبنائها وتحريكها لأجل تحقيق ما تستهدفه الإستراتيجية الشاملة خدمةً لأغراض السياسة.

* هذا التقسيم والتفريع لازم وضروري؛ لصعوبة وتعقيد الربط بين المساحة العسكرية والنشاط العملياتي ونتائجه، وبين ما يمكن ان يقدمه من آثار خادمة أو ضارة بالهدف السياسي.

* هي محاولة إدماج الأدوات العسكرية في مسارات عسكرية ما، بمعايير إنجاز عسكري ما، خادمة لتحقيق الهدف السياسي أو متطلبات الإستراتيجية الشاملة.

* أنت مطالب دائماً بالمقايسة المستمرة بين النتائج العسكرية المطلوبة، وبين ما يتاح لها من توظيف وأثر على الإرادة السياسية.

- في حال المواجهة، تحصل حالة من التضاد العسكري والتضاد الاستراتيجي يحدثها الخصم، من خلال مبادرات وردود أفعال وممانعة أساسية (في السياق العسكري بالأخص) - فضلاً عن التغيرات الحاصلة في البيئة المحيطة سياسياً وعسكرياً - تضطرك إلى التغيير باستمرار في الخريطة الاستراتيجية (المسارات/ طبيعة الاستراتيجية العسكرية/ طبيعة الخطط العملياتيّة الموجودة) بل حتى تصل لدرجة التغيير في الهدف السياسي في لحظة بعينها.

- تنطوي الاستراتيجية العسكرية على صعوبات:

1. الجمع بين أدوات غير متجانسة من القوى العسكرية، للوصول إلى أثر ونتيجة ليست من جنس العملية العسكرية. (مادي في مقابل معنوي)
2. أنها أمام خصم وبيئة شديدة التغير والعدائية.
3. أن ما نراه منها هو الأداء العسكري (performance)، الذي يحكم عليه البعد البنيوي في البناء العسكري ذاته (fighting power) والقدرة القتالية، سواء على مستوى (التعليم العسكري/ القدرة الذهنية/ المؤسسية/ البنية التنظيمية/ طبيعة القيادة/ فلسفتها/ وهكذا)، بأكثر مما تحكم عليه أحيانا التوظيف العملياتي والتكتيكي، ولكن الأخيرة لها قيمة تكون حاکمة في أحيان أخرى (وإلا كانت الحروب يسهل التنبؤ بها اعتمادا على تقييم التوازن العسكري حتى لو كان كميًا وكيفيًا وليس كميًا فقط كما هو شائع)

- كل طبيعة استراتيجية - من حيث الخيارات والنهيات والمسارات والبيئة والتحويلات - تقتضي أنساق بنائية مختلفة في كل مفردات القدرة القتالية- فضلاً عن توظيفها. (حرب عالية القوة تعتمد على المناورة

بالصحراء، غير حرب محدودة في سياق جغرافي مخنوق، غير مكافحة التمرد – في متطلباتها من عناصر العقيدة والقيادة والسيطرة ومنظومات التسليح والمواد واللوجستيك والتدريب وحتى معايير الإنجاز .. وهكذا)

3. "الإستراتيجية هي الجسر الوحيد الذي يتم بناؤه وإقامته لربط السياسة بشكل هادف بالجيش وأدوات القوة والنفوذ الأخرى".

3. "Strategy is the only bridge built and held to connect policy purposefully with the military and other instruments of power and influence"

- هل الربط بين السياسة وأدوات القوة يتم بشكل تلقائي؟! -

- لا بالطبع. الجسر بطبيعته غير موجود؛ بل يحتاج - ليس فقط إلى إرادة سياسية وإنما- سياق معرفي متوافر لدى النخبة السياسية والعسكرية، ومأسسة وتطبيق، ومع ذا تبقى المسألة على درجة من الصعوبة في ترميم الجسر وتفعيله في كل محطة صراع، فضلاً عن المسار الكلي للصراع.

4. الاستراتيجية تخدم السياسة بشكل فعال من خلال توليد صافي "التأثير الاستراتيجي".

4. Strategy serves politics instrumentally by generating net strategic effect.

وهذا من المفاهيم المتفردة التي أسسها كولن جراي.

- في وجود الهدف السياسي: هناك عدد من المسارات الاستراتيجية المحددة؛ كتفعيل الأداة العسكرية وغيرها للوصول إلى هذا الهدف. هذه المسارات الاستراتيجية - خاصة في نطاق الاستراتيجية العسكرية- لا تقود بذاتها إلى الهدف السياسي، وإنما الهدف السياسي هو الذي يقتضي نتائج محددة (عسكريًا/ دبلوماسيًا/ وغيره). هذه النتائج تؤدي إلى إحداث أثر استراتيجي هو الذي يقودنا في النهاية إلى الهدف السياسي. وغالبًا ما يكون هذا الهدف السياسي مرتبًا بتغيير الإرادة السياسية لدى أطراف الصراع بدرجة ونسبة وكيف وكم معين.

مشكلة جراي أنه ربط (الأثر السياسي) بمصطلح السيطرة Control الذي طرحه جي سي وايلي. لكن السيطرة مصطلح واسع وقد يتسق أكثر - كما أراد وايلي- بالسيطرة على مسار الحرب مثلاً، ولكن المحصلة الجوهرية لا بد أن ترتبط بالتغيير في الإرادة السياسية. هذا الأليق في تحديد ماهية السيطرة به في مستوى التحليل الاستراتيجي الذي نقصده.

- عادةً ينشأ الصراع بسبب وجود إرادة ممانعة لدى الخصم ضد أهدافه السياسية، وهنا يكون الأثر الاستراتيجي مرتبطًا بتغيير وتنعيم هذه الإرادة جزئيًا أو كليًا.

والحقيقة- أني طورت هذا المفهوم في رسالتي للدكتوراة اعتمادا على مقارنة كلاوزفيتس للأمر. فكلأوزفيتس تصوّر أن هناك نوعين للحرب؛ ذات الأهداف الشاملة (عبرتُ عنها بإنهاء وجوده السياسية أو استباحة إرادته السياسية للممانعة بشكل كلي) وهذه تحصل بضرب مراكز ثقل منظومة أخذه القرار. وإبداع كلاوزفيتس- على عكس مافهمه الكثيرون خطأ أن مركز الثقل هذا يختلف على حسب طبيعة النظام، فليس الجيش دوما كما أساء فهمه الكثيرون، ولكن - بتعبير كلاوزفيتس- قد تكون العاصمة، القيادة، الروح الشعبية والفكرة الملهمة..

أما النوع الثاني هو الحرب ذات الأهداف المحدودة (تغيير السلوك السياسي للخصم)، وهذا بالتأكيد قد تشمل التعرّض لمراكز الثقل تلك، ولكن لتحقيق آثار استراتيجية تقصد لتنعيم إرادته السياسية وليس تحطيمها (التأثير في حسابه السياسي للمصلحة والخسارة، الخوف وتقليل الأمن، والقناعة بعدم القدرة على تحقيق الانتصار).

- تمييز أي نوع من الحرب نقصد هو من أهم وظيفة القائد السياسي والعسكري كما أشار كلاوزفيتس، وأول ما في هذا التمييز هو تحديد أي حرب شاملة أم بأهداف محدودة، فضلا عن تحديد بقية الخيارات الاستراتيجية نزولا تحت هذا.. ولكن لماذا نذهب لحرب محدودة وليست شاملة؟

غالبا بسبب ضعف القدرة والإرادة، ولكن أحيانا لتحقيق مصالح قومية أخرى ومرتبطة بالتوازن الإقليمي مثلا (تدمير العراق مثلا سمح للقوة المنافسة إقليميا بالتمدد - إيران)

5. الإستراتيجية تدافعية/تنافسية؛ تعمل في كل من السلم والحرب، وتسعى دائما إلى قدر من السيطرة على الأعداء (وغالبًا على الحلفاء والمحايدين أيضًا)

5. Strategy is adversarial; it functions in both peace and war, and it always seeks a measure of control over enemies (and often over allies and neutrals also)

- جزء كبير من خياراتك وتقييم الإنجاز الاستراتيجي في محطات الصراع، مبني على رد فعل الطرف الآخر ومدى تأثير أدواتك العسكرية على أدواته العسكرية كمنتج عملياتي، فضلا عن الأثر الاستراتيجي والسياسي عنده.

- الجزئية الخطيرة هنا متعلقة بـ"التنبؤ". إذا لم تكن مدرّكًا لقدراتك ولما ستقوم به لاحقًا وطبيعة محركاتك بتمامها، وطبيعة توظيف أدواتك ذاتها في الواقع.. فمن باب أولى ألا تتمكن من توقع قدرات وإرادات

وخيارات الخصم (الذي هو جملة متشابكة من منظومة اتخاذ قرار بمحركاتها وتداعياتها، وتشابكاتها الداخلية والإقليمية والدولية).

- أيضًا: التنبؤ سيتم وفق أي سياق؟! وبأي معيار؟!

جراي - في كتابه عن الاستراتيجية والتخطيط الدفاعية- وغيره بالطبع أشاروا لاستحالة عملية التنبؤ الذاتي والبيئي فضلا للخصوم، ولكن لابد من التصدي لها. ما يُحسن فرصنا فيها هو البناء الإدراكي والخبراتي في باب الظاهرة الاستراتيجية وكذلك البيئات الاستراتيجية - لو هناك خطوط على درجة من الاضطراب تحكم بشكل ما سلوكيات البيئة والفاعلين- خطوط تصنعها الجغرافيا والنظام السياسي والأيدولوجي والاقتصاد وتحيزات الأفراد وما يطلق عليه الثقافة الاستراتيجية. ومن هنا تأتي قيمة دراسة هذه الأمور بعمق ، وقيمة الخبرة في المجال التي تقود للمحة الخاطفة Coup D'oeil أو trained intuition وهذا الفارق بين الخبير والطارئ على المجال. وفي ذات الوقت- عدم اعتبار هذه الاستنتاجات جازمة وحدية ومطردة بشكل كامل، لأن البشر والبيئة من طبعهم الأصيل التغير.

6. تتطلب الإستراتيجية عادةً الخداع ، وهي متناقضة - لارتباطها بمفهوم الصراع والتدافعية-، وغالبًا ما تكون ذات مفارقات ساخرة.

6. Strategy usually requires deception, is paradoxical, and frequently is ironic.

- الخداع: قد يكون على المستوى الاستراتيجي المتعلق بنواياك الكلية وأهدافك ومساراتك الكلية في إدارة الصراع [كمثال: السادات في حرب 73]، وقد يكون على مستوى مسرح العمليات، وقد يكون على المستوى التكتيكي.

- الخداع له قيمة إضافية محددة في سياقه الاستراتيجي، وليس له قيمة كلية وذاتية في الانتصار للوصول لنهاية عسكرية أو سياسية.

- يتوقف تأثير الخداع على مدى قدرة الخصم على امتصاص هذا الخداع والاستفاقة السريعة، ومدى قدرتك على المتابعة على الأمر، ومدى التعويض في مساحات مختلفة.

- حول ال Paradox أو التناقض الساخر هناك كتاب مهم لإدوارد ليتواك (Strategy: Logic of empire and peace).

أمثلة البارادوكس: المسارات التي اتخذتها في الصراع هل يكون لدى الخصم علم بها أم لا؟ بالتالي يكون استعدادها لها في المحطات التالية أعلى أم أقل؟! هل الهزيمة العسكرية تضعف الممانعة أم تقللها؟! طبعًا كل هذا يكون بحسب السياق والطبيعة الاجتماعية والسياسية والأيدولوجية والثقافية.

- المفارقات الساخرة: النتائج والعوارض والتداعيات غير المحسوبة.

- لابد أن يكون لديك استعداد ذهني ونفسي للتعایش مع طبيعة الغموض والتقلبات المفاجئة غير المحسوبة في مسارات الصراع.

7. الإستراتيجية ذات طبيعة بشرية.

7. Strategy is human.

- ما أثر هذا في الاستراتيجية؟ التحيزات في الأهداف وفي الاستراتيجية ومسارات العمليات والتكتيك. ولذا فالعامل الشعبي/ الإنساني مهم جدًا في فهم الظاهرة الاستراتيجية.

- العنصر البشري مهم جدًا في رسم معايير الإنجاز الاستراتيجي والعسكري. وهذه مشكلة بعض المقاربات التي تتعامل مع الأمر كما لو كان مجرد أفكار أو نظرية اللعبة أو تقني. وهذه مشكلة جوميني في مقابل كلاوزفيتز: ال moral factor / البعد الإنساني عنده متدني. مع أن البعد الإنساني له أبعاد مختلفة في الروح القتالية والتصميم والمثابرة والإبداع الخاص بالتكتيك وفن العمليات أو بالإستراتيجية العليا. العامل البشري مهم سوا بالمعنى الإيجابي أو السلبي في الظاهرة الاستراتيجية كعنصر قوة أو ضعف عندك، أو فرصة وتهديد عند خصمك. ما يضيف على الظاهرة الاستراتيجية من دينامو حقيقي خاص بإدارة الصراع، وكذلك من محددات أو تحيزات في الجانب المعرفي أو الخيارات أو القدرة القتالية أو القيادة، وهكذا.

8. "معنى الاستراتيجيات وطابعها: مدفوعان بسياقاتها، وإن لم تكن مفروضة ومحددة بالكامل، وكلها تعمل باستمرار".

8. "The meaning and character of strategies are driven, though not dictated and wholly determined, by their contexts, all of which are constantly in play"

9. "الإستراتيجية لها طبيعة دائمة ، بينما الإستراتيجيات (عادة الخطط ، رسمية أو غير رسمية ، تعبر عن نوايا عملياتية طارئة) لها طابع متغير مدفوع ، ولكن غير مفوض ، من خلال سياقاتها الفريدة والمتغيرة ، والتي يتم التعبير عن احتياجاتها في قرارات فردية".

9."strategy has a permanent nature, while strategies (usually plans, formal or informal, expressing contingent operational intentions) have a variable character driven, but not mandated,

by their unique and changing contexts, the needs of which are expressed in the decisions of unique individuals"

- يفرّق كولن جراي بين "الاستراتيجية" و"الاستراتيجيات". كما الفارق بين "الحكم" - الأساس النظري الثابت - و"الفتوى" - التطبيقات والتسيقات المتغيرة - في الاصطلاح الأصولي.

الاستراتيجية: القواعد النظرية العامة التي تضبط إدارة الصراع وتوظيف الأدوات المختلفة وبالأخص العسكرية. وهي متعددة للسياقات، وللأزمنة، وللحالات الخاصة، ولها درجة عالية من الثبات.

الاستراتيجيات: الخيارات الاستراتيجية التفصيلية. وهي عالية على السياق، وعلى طبيعة المتصارعين، وعلى عنصر الزمن، وعلى عنصر التوازن العسكري والتقني بين الأطراف المختلفة، وعلى عنصر التطور السياسي والاجتماعي وال Know HOW الموجود في حالات الصراع.

** إدراك الثابت والمتغير هنا مهم جدًا. إدراك "الثابت" أساسي في التعليم الاستراتيجي، ولإدراك وإنضاج الظاهرة والملكة الاستراتيجية. ولا بد من بذل الجهد دائمًا لتمييز الثابت من المتغير.

- كذلك لا تكتفِ فقط بالنظرية الاستراتيجية/ الاستراتيجية، دون أن تنشغل بفهم السياقات وإدراكاتها.. وإلا فلن تحصل على نتيجة ولن تتمكن من صنع استراتيجيات تفصيلية وستبقى في دائرة العموم.

** الاستراتيجي لا بد أن يكون لديه هذا الإدراك والتميز، والبناء المستمر وغير المتماثل ما بين مساحة الاستراتيجية والاستراتيجيات.

- هناك 3 درجات أو مستويات من التصور (النظرية) في الاستراتيجية:

أ. **الدرجة العليا:** "الاستراتيجية العامة المتعددة لكل السياقات.

كمثال: الأداة العسكرية تستخدم من أجل تطويع الإرادة السياسية لدى الخصم. في الاستراتيجية لا بد أن تجعل المقايسة مستمرة بين الأدوات والخيارات والنتائج وهكذا.

ب. **الدرجة الوسطى:** لكل زمن نظريته الخاصة في الحرب. وهذه غالبًا ما ترتبط بالتحولات السياسية والاجتماعية والتقنية الكبرى في مساحة الصراع.

ج. **الدرجة الدنيا:** الخيارات الاستراتيجية الخاصة بصراع بعينه .. مفهوم الانتصار concept of victory

السؤال الجوهرى الثانى: مَن يصنع الإستراتيجية؟ وكيف؟!

10. الإستراتيجيات يتم تطويرها في عملية مستمرة من المفاوضات والحوار بين الأطراف الفاعلة (المدنية والعسكريين).

10. Strategy typically is made by a process of dialogue and negotiation

- كولن جراي: غالبًا الالتفاتات الاستراتيجية الكبرى الكبرى تحصل في عقل الشخص الواحد أولاً، لكن المهمة الاستراتيجية سواءً كانت أفكارًا متكاملة أو خطط؛ هذه عملية تخضع للمعالجة والتفاعل والتكامل بين أطراف مختلفة.

- الاستراتيجية يتم بناؤها من خلال التفاوض بين أطراف مختلفة، حتى وإن كانت في مناخ غير صحي، كالتنازع بين الأسلحة أو بين المؤسسات، والتعامل مع الصراع الخارجي باعتباره جزءًا من التنافس الداخلي، وإن كان هذا يشوه عملية صناعة الاستراتيجية ويبعدها عن المنطقية.

- معيارياً، وما ينبغي أن يكون: الاستراتيجية عملية حوارية مستمرة ضمن سياقات مختلفة؛ للوصول إلى أنسب منطق للتوظيف المتكامل والتبادلي بين أدوات القوة، وصولاً إلى النهايات السياسية، عبر تحقيق أثر استراتيجي ما.

- تجريبياً، تتعرض هذه العملية لخروقات فجّة، يًا كان الكيان السياسي (دولة أو حركة) بسبب غلبة منطق التفاوض والتسويات لعوامل شخصية وحزبية (غير استراتيجية).

11. "الإستراتيجية منطقة مشحونة بالقيمة للأفكار والسلوك".

11. "Strategy is a value-charged zone of ideas and behavior"

- هناك فارق بين التحليل الاستراتيجي وصناعة الاستراتيجية، وهذه نقطة غير واضحة لدى كولن جراي.

في التحليل الاستراتيجي: هي عالية حرفياً – أو هكذا ينبغي أن تكون - على مساحة الفن والخبرة الاستراتيجية، ومدى قدرة كل طرف على تعريف أهدافه السياسية، واستخدام أدواته الكلية (بالأخص العسكرية) وصولاً لها. نظرياً: هذا لا علاقة له بالقيمة، ولا مجال فيه للتحيز، وإن كان التحليل الاستراتيجي يهتم بتتبع أثر القيم والثقافات على تشكيل الخيارات الاستراتيجية ومنتوجاتها عند الذات والخصوم.

في صناعة الاستراتيجية: ولكن حين نضع نحن الاستراتيجية فلانعمد فقط على دائرة التحليل ولكننا نراعي - كمكونات ومجتمعات إنسانية- الجانب القيمي والأخلاقي والثقافي وهكذا.

وهذا ربما ماقصده ماوتسي تونج حين أشار أن التحليل الاستراتيجي علمياً (أو ينبغي أن يكون ولكنه ليس متحتم كواقع تجريبي)، أما صناعة الاستراتيجية فلا.

12. غالبًا ما تكون الاستراتيجيات المحددة تاريخيًا مدفوعة بالثقافة والشخصية. الاستراتيجية في النظرية العامة ليست كذلك.

12. Historically specific strategies often are driven by culture and personality, strategy in general theory is not.

- ما ينبغي ان يكون: أنك حين تضع نظرية استراتيجية عامة، تتحرر من التحيزات الثقافية والشخصية.
- أما الخيارات الاستراتيجية فتكون متأثرة - معياريا وليس فقط تجريبيا - بالثقافة والقيمة والشخصية.
- حتى وإن وجد التحيز للثقافة والشخصية في النظرية العامة بدرجة غير مقصودة، فلا بد أن يكون متواجدًا في الخيارات الاستراتيجية بصورة مقصودة.
- كتاب (Military orientalism) الاستشراق العسكري، جيد في هذا السياق. وكذلك كتاب مايكل هاندل (Masters of war).

13. جسر الإستراتيجية يجب أن يقام من قبل استراتيجيين أكفاء.

13. The strategy bridge must be held by competent strategists."

- الاستراتيجية هي أصعب نقطة في منظومة الصراع، أكثر بكثير من السياسة ومن الناحية العسكرية عمليات فضلا عن تكتيك، والدبلوماسية. وبالتالي يصعب جدًا ان تتوافر المهيئات الشخصية لدى أحد للقيام بهذا الدور الصعب. [بما يستلزمه من بناء معرفي وفني ومهاري، موسوعي ومنهجي وتفاعلي في آن]. ومع هذه الوفرة المنهكة معرفيًا لابد من توافر حس انتقائي عند اقتحام كل هذه الميادين المختلفة لاختيار الأمور الحيوية والمهمة من منظور الاستراتيجية. ولربما في هذا نسب لصعوبة تكوين الأصولي ترايا ونقد البعض أن الأصول هو جمع بين حزم معرفية غير متناسقة (القرآن والحديث واللغة والفلسفة والمنطق و.. و..)، ولكن كمثل ما دافع ووضح الأقدمون: هذا الجمع يحصل وفق منهجية وخدمة لخط أساس وحساسية انتقائية.

- الاستراتيجي قد يكون (المفكر/ القائد السياسي/ القائد العسكري/ المنظر/ الإداري والموجه)، وكل واحد منهم له معطيات عقلية وإدراكية ومزاجية وخبرانية مختلفة بشكل أو آخر. لكنهم جميعًا يشتركون في أن الاستراتيجية لا يمكن أن تكون "غيبًا". والعبرة هنا بضرورة توفر الأدوار تلك بغض النظر عن المسميات الوظيفية وسلسلة القيادة، وإن كان لابد من وضع مهام الاستراتيجية أعلى السلسلة، وأن يكون تنسيقا وهارموني بينها بما يتوافق مع طبيعة النظام السياسي والمؤسسي.

وهذه النقطة توسعت في شرحها برسالتي للدكتورة حين تحدثت عن مؤسسة الاستراتيجية والعلاقات المدنية العسكرية، أن هناك عوامل وظيفية للصحة المؤسسية، ولكن تراعي العلاقات مثلا وتكون compatible مع محددات النظام السياسي. فلو أنت استنسخت نمطا (ديمقراطيا) - مع تعدد نماذجه-

لترتيب العلاقات المدنية العسكرية في واقع دولة شمولية أو فردية فأنت قد تهدم البعد الوظيفي, و نظريا لكل من النظام الديمقراطي وغير الديمقراطي عقباته أمام عوامل الصحة المؤسسية تلك، وإدراكها مهم لمحاولة إصلاحها.

- في نسبية وتنوع متطلبات مهام الاستراتيجي - المنظر لديه درجة عالية جداً من الذكاء والتوثيق والتتبع، لو توافرت للقائد العسكري وفعلها ستكون مضرّة جداً لأن ما يحتاجه هو الشمول والبساطة والتنسيب وليس الإحاطة والتفصيل.

** لابد أن تدرك صعوبة وتعقيد وتنوع وموسوعية ونسبية الموارد التي تهيئ وتنشئ الاستراتيجي كشخص، فضلاً عن منظومة.

- أي أمة/ كيان/ دولة؛ لابد أن تدرك ابتداءً صعوبة المهمة الاستراتيجية، وصعوبة وتعقيد وتنوع وموسوعية ونسبية الموارد التي تهيئ وتنشئ الاستراتيجي كشخص، فضلاً عن منظومة، ولابد أن تستثمر بقوة في هذا الأمر.

- في تكوين الاستراتيجي: الجزء النظري مهم وحيوي بأبعاده العامة والسياقية، وكذلك الجزء الخاص بالمقاربة النقدية للواقع والتاريخ والاشتباك، وكذلك الجزء الخاص بالتجربة والتطبيق (لأن التطبيق مهم لتطوير النظرية).

السؤال الجوهرى الثالث: كيف تطبق الإستراتيجية؟

14. الإستراتيجية أكثر صعوبة في استنباطها وتنفيذها، من السياسات والعمليات والتكتيكات - الاحتكاك بجميع أنواعه يشمل ظواهر لا تنفصل عن صنع وتنفيذ الاستراتيجيات.

14. Strategy is more difficult to devise and execute than are policies, operations, and tactics—friction of all kinds comprise phenomena inseparable from the making and conduct of strategies.

- الإستراتيجية أكثر صعوبة في استنباطها وتنفيذها، من السياسات والعمليات والتكتيكات؛ لأنها محاولة للدمج بين بيئات من طبيعتها التنافر - والاختلاف- المزاجي والمؤسسي والمادي والنتائج والآثار.

- يتوهم البعض خطأً أن مفهوم الاحتكاك وضعه كلاوزفيتز حصراً على المساحة العسكرية؛ كأن تحرك قطاعات عسكرية معينة لأداء مهمة معينة، فيحصل الاحتكاك باعتباره الخطأ البشري والتقني في الظاهرة التنظيمية المعقدة، وعلاقة الإنسان بالآلة. ثمة ألف خطأ يمكن حدوثه؛ هذا هو الاحتكاك.

- الحل الوحيد لهذا الاحتكاك (فضلاً عن التدريب المستمر ونضج المنظومة والخبرة والاحترافية) هو القائد ذو القدرة على الحسم وعلى فرض منطق حسمه النفسي على مسار الحدث، وأخطر منه على مسار منظومته الداخلية.

- الاحتكاك لا يقتصر تواجده على المساحة العسكرية، وإنما يتواجد أيضًا في المساحة الاستراتيجية وهذا هو الأخطر. مثلاً - مغايرة الفرضيات الاستراتيجية لتجليات الواقع العسكري وآثاره. التنافر على مستوى القيادة العسكرية وبين الأسلحة وفي العلاقات المدنية العسكرية.

15. يمكن التعبير عن الإستراتيجية في استراتيجيات هي: مباشرة أو غير مباشرة (ليدل هارت)، متسلسلة أو تراكمية (جي سي وايلي)، استنزاف أو مناورة، إبادة مستمرة أو مدهامة (تعرضية)، قوة قسرية أو غاشمة، هجومية أو دفاعية، متماثلة أو غير متماثلة، أو معقدة مزيج من هذه البدائل الاسمية ولكن غالبًا ما تكون خاطئة.

15. Strategy can be expressed in strategies that are: direct or indirect, sequential or cumulative, attritional or manoeuvrist-annihilating, persisting or raiding (expeditionary), coercive or brute force, offensive or defensive, symmetrical or asymmetrical, or a complex combination of these nominal but often false alternatives"

- التقسيم الحدي بين الاستنزاف والمناورة بعيد عن الواقع.. مثلاً أي مناورة تحتاج إلى استنزاف ومواجهات مباشرة. والعكس - حرب المواجهة قد تتضمن مناورات التفافية لفتح مساحات للاختراق والتطويق. ولكن مهم الانتباه أن الاستنزاف والمناورة قد تشمل المستوى الاستراتيجي وليس فقط العملياتي، في التوظيف الشامل للأداة العسكري لإدعاء أو مناورة الإرادة السياسية.

- كذلك .. التماثل وعدم التماثل قد يشمل المستوى العملياتي والمستوى الاستراتيجي. في حرب 2006م، أخذ حزب الله نمطًا كبيرًا من الجزء النظامي في مستوى التكتيك والمستوى العملياتي (الدفاع عن أرض، تسليحات وتقنيات نظامية....)، لكن ليس لغايته ونهايته النظامية استراتيجيا (مركزية التفوق العسكري)؛ لكن لأن هذا كان هو الأقرب والأفضل للوصول إلى أثر استراتيجي في نفس الاستراتيجية غير المتماثلة التي ليست قائمة على الانتصار العسكري، وإنما على إحباط الثقة في قدرة الجيش على تحقيق الانتصار. (تدمير المدمرة ساعر كمثال).

- غالبًا الاستراتيجية التفصيلية ليست هذه أو تلك من الثنائيات التي ذكرها جراي وقبله هارت ووايلي، ولا حتى نمط محدد من هذه الاستراتيجيات، وإنما هي كوكتيل منها بنسب متنوعة.

- بينما يرى روبرت سميث أن أي استراتيجية ناجحة أو متقدمة لابد أن يكون فيها درجة من عدم التماثل، نقول إننا نقصد بعدم التماثل هنا: في الجنس وليس في الشكل. فالاستراتيجية غير المتماثلة لا تركز على محورية الانتصار العسكري، وإنما هدفها الإدماء وإطالة أمد الحرب لأجل محاولة تنعيم الإرادة السياسية. وحينها فعدم التماثل لا يقتصر على الحرب غير النظامية، وإنما أيضًا فيما يسمى (Fabian Strategy) التي طبقها بريكس أمام حنيبعل عبر تجنب المواجهة المباشرة معه وضرب قواعده في الوقت ذاته. وأيضًا طبقها صلاح الدين مع جيش ريتشارد.

- بعد حطين، فوجئ صلاح الدين بعد مجيء ريتشارد بجيش ثقيل احتراقي، بأن أي اشتباك عسكري وتكتيكي كان مذبحه لجيش صلاح الدين (معركة وادي أرسوف الشهيرة كمثال). وتصرف صلاح الدين بنفس نمط (Fabian Strategy)؛ فتجنب المواجهات المباشرة، وتعامل مع جيشه النظامي كما لو كان قوات غير نظامية، بمنطق الجوريل على مستوى واسع؛ لإدماء جيش ريتشارد وضربه من الأطراف، وإطالة أمد الحرب، ووسع مساحات المناورة جغرافيًا، وعقد اتفاقية سلام سرية مع أخيه، ولعب على أحد أهم العوامل "الوقت"؛ حيث ريتشارد بعيد عن قواعده في إنجلترا في واقع شديد التنوع الداخلي، فقام صلاح الدين بتشتيته. هذه استراتيجية غير متماثلة أدت بعد هدنة 3 سنوات ثم مواجهات أخرى إلى رجوع الجملة الصليبية إلى بلادها.

16. تتشكل جميع الاستراتيجيات من خلال سياقاتها الجغرافية الخاصة، لكن الإستراتيجية نفسها ليست كذلك.

16. All strategies are shaped by their particular geographical contexts, but strategy itself is not.

- كما أشرنا من قبل، كتاب كولن جراي (الموسوعي) السابق على "جسر الاستراتيجية" هو (Modern Strategy) المبني على السياقات الاستراتيجية (Strategy dimensions)، وقسمها إلى 17 سياق.

النوع الأول (people and politics)= السياسة والثقافة والاجتماع والأيدولوجيا؛ كل هذه التكوينات والنظام السياسي.

المجموعة الثانية (Preparation of war)= يدخل فيها الموارد والأسلحة والعقيدة القتالية والتعليم والإدارة العسكرية والخطط.

والمجموعة الثالثة (War problem)= الحرب ذاتها بما فيها العمليات والاحتكاك والوقت والعدو وهكذا.

- مفهوم (Strategy dimensions) مفهوم مستجد نسبيًا في الدراسات الاستراتيجية، ويعتبر مايكل هاورد هو أول من حاول تناوله بشكل واضح في دراسته (Forgotten dimensions of strategy) في أوائل الثمانينات، عبر انتقاده طريقة التركيز على السياقات "الوظيفية" في الاستراتيجية كالخطط

والعمليات العسكرية وهكذا)، وتنسى وجود سياقات ملحة ذات قيمة - كالذاكرة التاريخية والجغرافيا والتقانة والنظام السياسي- في تشكيل الخيارات الاستراتيجية للدول والحركات.

- واحد من أهم الكتب الاستراتيجية غير المترجمة، بتحرير وليام سيموري، تضمّن فصلاً كتبه كولن جراي عن الحرب النووية، وكتب فيه أيضًا مايكل هاندل أهم فصل عن الاستراتيجية الإسرائيلية وكيفية تخلّقها وتطوّرها، وهناك أيضًا فصل في رسالتي للدكتورة - غير مضاف- كان محاولة لتتبع أثر هذه البيئات الاستراتيجية من النواحي الثقافية والاجتماعية والشعبية والدينية والجغرافيا والاقتصاد والنظام السياسي في كيفية تشكيل الخيارات الاستراتيجية.

- من المباحث المشهورة عن إسرائيل، وذكره مايكل هاندل، ما يعرف بـ"تكتكة الاستراتيجية" (Tacticization of strategy)، بمعنى نزوع الحالة الإسرائيلية المستمر إلى الحسم التكتيكي والعمليتي ونقل الحرب إلى أراضي الخصم والتركيز على البعد التقني، وكذلك الاستفادة من سيطرة القوة الجوية والمدركات، سواء لتهجير الخصم أو سرعة الوصول للحسم التكتيكي، والاعتماد على الإنذار المبكر المخبراتي. هنا "تكتكة الاستراتيجية" تعني الاستعاضة بهذا المنطق التكتيكي والخاص بالحسم العمليتي عن وجود تفكير استراتيجي ومأسسته لإدارة الصراع بمحطاته المختلفة. وهو ما نتقده مايكل هاندل.

- من مميزات هذا الكتاب المشار إليه، أنه على مدار الحالات التاريخية المدروسة، كل مؤرخ أو منظر يتتبع هذه البيئات الاستراتيجية تأثيرها على الخيارات. في الحالة الإسرائيلية على سبيل المثال، نجد **الوضع الجغرافي الضيق** الذي يجعله غير قادر على تحمل مساحات واسعة من المناورة العسكرية المختلفة، ومحاط بمنظومات سياسية وعسكرية وشعبية معادية، وهو ما جعله في حرب أكتوبر يركز بشكل ملحّ عاجل على تسكين الجبهة السورية لأنها الأكثر حرجًا جغرافيًا. وهكذا يجعله الوضع الجغرافي دائمًا يركز على الحسم العمليتي السريع والحرب الاستباقية حتى لا يواجه بحرب دفاعية متعددة الجبهات. (الأمر ذاته في المنطق الجغرافي وتأثيره هو ما جعل الألماني في حروب بروسيا ضد فرنسا وروسيا، وتكرر في حرب 1918م). كذلك **البعد الاقتصادي**؛ فالجيش الإسرائيلي معظّمه مبني على الاحتياط، وهو بهذا الشكل لا يستطيع الاستمرار في حروب استنزاف طويلة المدى على جبهات دفاعية؛ وإلا سينهار اقتصاده. أيضًا **النظام السياسي** عامل مهم في هذا الهوس بتكتكة الاستراتيجية؛ ليس فقط لغلبة اليمين من بعد حرب أكتوبر، وإنما لاعتبارات الحد الأدنى لدخول الكنيست وطبيعة النظام البرلماني واحتياجه دائمًا للتوافقات وعلو أثر الأحزاب المتطرفة واليمينية في صنع السياسة، ما يجعل أي تنازلات سياسية على درجة كبيرة من الصعوبة. أيضًا **الناحية الثقافية** وخبرة الشتات والهولوكوست، تخلق تناقضًا في الحالة الثقافية الإسرائيلية ما بين الرغبة في الأمن الكامل وبين الدرجة العالية من المساحة التصفوية والعنف الشديد. هذه البيئات الاستراتيجية من السها تتبّعها وإدراك أثرها. لكن هل هذه الآثار حادة وحاسمة؟ أم أنها نسبية ديناميكية متعاضدة؟

- من المهم جدًا دراسة البيئات الاستراتيجية وإدراكها، وإدراك الثابت والمتغير فيها، والتعامل مع آثارها بدرجة من عدم الحسم، ولكن بمرونة ومتابعة؛ لأنها مفيدة في إدراك سلوك الخصم وتحيزاته والنقاط

الصلبة لديه. لا يعني هذا حاكميتها على تصرفاته بشكل مطلق، لكن يظل إدراكك لهذا الخصم يعتمد بدرجة كبيرة على إدراك هذه البيئات عنده.

- قيمة البيئات الاستراتيجية أنها تدخل في مخزون الوعي والإدراك والتحليل لفهم الظاهرة بشكل غير حاسم وخاضع للتغير السياقي والديناميكي المستمر. وغالبًا ما تقتضي محطات الصراع الشاملة تغييرًا في البيئات لديك ولدى الخصم. (كمثال: طفرة الشاذلي بإلحاق المؤهلات العليا بالجيش المصري).

- البيئات الاستراتيجية، بما فيها الجغرافيا، تجعل الاستراتيجيات متغيرة وسياقية ومؤقتة.

17. الإستراتيجية هي نشاط بشري غير متغير، وغير قابل للتغيير في الواقع ، في الفكر والسلوك، يتم وضعه في سياق تكنولوجي ديناميكي متغير.

17. Strategy is an unchanging, indeed unchangeable, human activity in thought and behavior, set in a variably dynamic technological context

18. على خلاف الإستراتيجية، كل الإستراتيجيات مؤقتة.

18. Unlike strategy, all strategies are temporal.

19. الإستراتيجية لوجستية.

19. Strategy is logistical.

- وهذه نقطة جوهرية في منظومة الحرب والصراع بمعناه العسكري والسياسي، وحتى بمعناه الاستراتيجي. فمن الخطأ التفكير في الFunction وإغفال البنية المعرفية والنفسية والخبرانية والتنظيمية التي تصنع هذا الfunction. وهنا نقطة – عندي بعض التحفظ وأحيانًا القبول لقول جراي أن الاستراتيجية لوجستية. اللوجستيك هي مكوّن عملياتي وعليه يتحرك التكتيك، ولكن هل هو استراتيجي؟ نقول أنه من القيمة بحيث ترتبط به آلة الحرب الحديثة كالحبل السري للجنين، وعلى هذا فبال تأكيد له آثار استراتيجية – ليس فقط في محصلة النشاط العسكري للجيش ولكن أثره الاستراتيجي على الإرادة السياسية للخصم. فضلًا عما ذكرناه أن أي قيمة أو مشكل تكتيكي – وليس فقط عملياتي – يطال الجيش بأكمله فالأصل اعتباره استراتيجيًا (بحكم المآل) حتى يثبت العكس.. وهكذا – فقول أن الاستراتيجية لوجستية مقصود به أنها تتجلى في العمليات والتكتيك – خصوصًا شقها العسكري، ولأن اللوجستيك قيمة حاسمة فهي بالتبعية مظهر تطبيق الاستراتيجية عسكريًا. ولكنها ليست في صلب المستوى الاستراتيجي بالطبع. على أنني أعلم لم عبّر جراي بهذه الصيغة – فالاستراتيجية لوجستية ليست بأليق من قولنا الاستراتيجية عملياتية أو الاستراتيجية تكتيكية، ولكن لأن اللوجستيك هي

قيمة بنيوية ومهارية وتطبيقية غائبة - وحتى على مستوى التنظير العسكري المعاصر غالباً. مع قيمتها الفارقة (نظرة مثلاً أن 80 % من خطوط إمداد فرقة مدرعات هي الوقود)، وأن ما أفضل أعظم جيش معاصر في بارياروسا كان اللوجستيك بشكل أساس - نعم ، لأن المشكل التكتيكي هذا كان على مستوى العمليات والاستراتيجي بالأساس (خلل الفرضيات فيما يتعلق بمستوى ممانعة الروس وأولوية مركز الثقل وخطوط العمليات واعتبار اللوجستيك على مستوى الجيش، وانهايار العلاقات السياسية والعسكرية في اتخاذ القرار على مستوى قيادة النازي ووو.. وكلها مشكلات استراتيجية) ولكنه بالأخير يبقى مشكل لوجستيك على مستوى العمليات والتكتك. فقد نقبل مجازاً تصرف جراي بمنطق التفضيل الانتقائي لإبراز قيمة اللوجستيك الغائبة. وهي بالحقيقة من الجوانب المعهودة في الضعف العسكري العربي. وهناك كتب قليلة فيه، أشهرها كتاب مارتن فان كريفيلد الإسرائيلي، ولكنه أقرب للتبع التاريخي، ولكن الضبط النظري والموضعه الاستراتيجي موجودة في دراسة لتلميذ جراي - توماس كان.

20. الإستراتيجية هي أهم مصدر للعقيدة العسكرية، في حين أن العقيدة هي عامل تمكين ودليل للاستراتيجيات.

20. Strategy is the most fundamental source of military doctrine, while doctrine is a notable enabler of, and guide for, strategies

- كثير من العسكريين يخلط بين العقيدة العسكرية والروح القتالية، وذلك راجع لخلط مفهوم العقيدة في هذا السياق بمفهوم الإيمان.

- تحديد ماهية العدو من الصديق، وطبيعة العدو، وطبيعة المهام الاستراتيجية، كل هذا لا علاقة له بالعقيدة العسكرية ولا بتطويرها، وليس سؤالاً استراتيجياً بالأساس، وإنما هو سؤال سياسي. بالتالي يمكن أن يصاغ السؤال الاستراتيجي كالتالي: لو هذا الطرف "عدو"، فما مدى احتماليته وما طبيعة السيناريوهات العدائية الممكنة وما الخيارات الاستراتيجية كأنماط عسكرية يمكن أن تواجه بها؟!

- العقيدة/المذهب العسكري (doctrine) ليست سؤالاً سياسياً ولا استراتيجياً، لكنها مرتبطة بالسؤال الاستراتيجي. فحينما يجيب السؤال الاستراتيجي عن طبيعة المهام الاستراتيجية التي لابد أن تُهيأ لها القوات المسلحة، هنا يأتي دور الـ (doctrine) لتجيب عن كيف يتم تهيئة الجيش احترافياً ومأسسياً وكيفية إدارة القطاعات العسكرية الكبرى كقواعد نظرية لأجل تحقيق هذه المهام الاستراتيجية؟

- المذهب القتالي (doctrine) هو: طبيعة الخيارات وكيف يفكر الجيش في أداء مهامه العسكرية بشكل مشترك أو بشكل خاص لكل سلاح على حدة؟ وكيف يمكن أن يقوم بها "نظرياً"؟

- الـ (doctrine) عالة على الاستراتيجية نعم، ولكنها ليست مُدخلة الوحيد؛ فهناك أيضاً خبرة الحرب الحديثة، والعلاقة الثقافية والتنظيمية، وأهم شيء: طبيعة العدو (لأنهما تحكم في طبيعة الخيارات

العسكرية المفضلة للقيام بالمهام الأساسية) والتوازن العسكري الكمي والكيفي معه، وعنصر الجغرافيا العسكرية..

- الـ (doctrine) بهذا المعنى متغير وليس ثابتًا، وهنا تظهر خطورة ترجمته بـ"العقيدة" القتالية، والأصح ترجمته بـ"المذهب القتالي".

- هل يغلب على الـ (doctrine) التجريد أم التفصيل؟! هو يأخذ مكانًا وسطًا بينهما؛ لأنه لو غلب عليه التفصيل فسيكون أشبه بخطة عمليات ويتحول إلى دوجما، ولو بقي عاما غاب عنه التخصيص وبقي في إطار نظرية العمليات ولم تكن له فائدة حقيقية.

- بينما توسّع الروس/السوفييت والألمان في الـ (doctrine)، وكذلك الناتو (يعرف المذهب القتالي بأنه ذو وصاية وهيمنة؛ لكنه يقتضي مرونة في التطبيق - لا بد من محاكمته في التطبيق لاحتمال نشوء تناقضات وتنزله في سياق خطة عملياتية وتكتيكية معينة وهكذا-)، إلا أن هناك دولاً مثل بريطانيا وإسرائيل ترفض الـ (doctrine).

- في بريطانيا مثلاً، يرون أن الـ (doctrine) يعوّق المرونة والإبداع على مستويات العمليات والقيادات التكتيكية، وأول (doctrine) وضعت بريطانيا متأخرًا عام 1988م.

- بينما إسرائيل حتى الآن ليس لديها (doctrine) رسميًا، وإن كان في بعض الوظائف، توضع (doctrine)، كما في حروب الخنادق والأنفاق (Tunnel warfare) مثلاً. وإن كان أهم عامل زهد إسرائيل في الـ (doctrine) هو ضعف القوى العسكرية المضادة.

- في جميع الأحوال، الأمر له إيجابيات وسلبيات، وبحسب نوع الحرب والـ (High intensity) التي تحتاج غالباً قطاعات عسكرية واسعة ودرجة من التفكير المنظم والتعليم المنهجي للقيادات العسكرية؛ فحتى لو سترك له مساحة كبيرة من المناورة وقيادة المهام، فعلى الأقل لديه خبرة نظرية متقاربة في طبيعة ومحدودية القيام بالمهام العسكرية الكبرى والصغرى. وعلى هذا ندرك قيمة الدوكترين في التقريب بين الفهم العسكري قياديا وعملياتيا، وإيجاد لغة مشتركة، وتقريب المعرفة العسكرية للمقتضى الاستراتيجي للجيش في سياق محدد.

السؤال الجوهرى الرابع: عن آثار الإستراتيجية وتبعاتها.

21. كل السلوك العسكري تكتيكي في التنفيذ، لكن يجب أن يكون له تأثير عملياتي واستراتيجي، مقصود وغير مقصود.

21. All military behavior is tactical in execution, but must have operational and strategic effect, intended and otherwise.

- الأثر الاستراتيجي غير المقصود قد يكون في صالحك، لكنه في أغلب الأحيان يكون ضدك.

** كل ما سبق هو الإطار النظري الذي وضعه كولن جراي للنظرية الاستراتيجية العامة. وحين نأتي إلى جزئية التطبيق تظهر لنا مشكلة عدم وضعه لقواعد تحكم التطبيق، واكتفى بتناول "مشكلات" التطبيق. قواعد التطبيق تشمل بنود صياغة الاستراتيجيات، وبنيتها المؤسسية، وتحويلها لبيئة وقابلية وفن العمليات، واشتقاق السيناريوهات ومحاكمة الفرضيات وهكذا..

مشكلات التطبيق

(1) تصوّر الاستراتيجية بين الإفراط والتفريط.

فبينما يوجد مَنْ لا يدكون قيمة الاستراتيجية، هناك في المقابل من يتخيل أن الاستراتيجية هي الحل وأنها وحدها قادرة على حسم المسارات دون إدراك قيمة التكتيك والعمليات، ودون إدراك أنه أحياناً تكون استراتيجية جيدة لكنها ليست كافية لتجاوز الفجوة الواسعة بينك وبين الخصم في القدرات القتالية والعسكرية.

كما يقول مولته، فالاستراتيجية تنتظر التكتيك وما يقود إليه من نتائج وتبني عليها، وإن كان هناك بالفعل فكرة كلية مسبقة. "الاستراتيجية هي مجموعة من الافتراضات والاستطلاعات system of expeditions". وليس معنى هذا عدم وجود (design) حاكم، وإنما هو يقصد أنه مع وجود فكرة كلية مسبقة تأتي تغيرات الواقع وما يقود له من تصادم الأدوات العسكرية في الميدان والنتائج العسكرية المفاجئة كثيراً، لتنتزع قيمة كبيرة في مراجعة الاستراتيجية.

(2) العدو غير المستجيب ولكن الضروري.

تعد أهم مشكلة في التطبيق. فالعدو غالباً لا يستجيب وفقاً لتوقعاتك. لكن يظل وجوده كعدو ضروري؛ لأنه بدونه لا وجود لمفهوم الصراع.

(3) تحويل العملة بين المنتج العسكري والأثر الاستراتيجي والسياسي دون سعر صرف ثابت.

(4) مشكلات الخبرة والمأسسة.

كل ما تناولناه من مشكلات مسبقاً، سواء في الخبرة وبنائها وتنميتها وتطبيقها، أو في المأسسة والعلاقة بين المؤسسات المختلفة وبالأخص بين الشق السياسي والعسكري مع الاختلاف الكبير في المزاج والمحركات

والمؤهلات والخبرات. وكلاهما بحكم طبيعة مساره المهني/ السياسي/ الخبراتي، لا يقدّم له هذا المسار تأهيلاً طبيعياً للمهمة الاستراتيجية، وخاصة في المستوى السياسي (وهذه مشكلة منتشرة حتى في المؤسسات الغربية والانحدار الكبير في طبيعة مؤهلات وخبرات الرؤساء هناك).

5) عوائق الثقافة والتحيزات والطبيعة الانسانية والظرفية.

7) التعقيد وعدم التناسق وتعدد البيئات.

8) الاحتكاك وطقس الحرب وإشكال التنبؤ.

- طقس الحرب: الغموض. وهذه إحدى المشكلات في دراسة التاريخ، حيث يتورط البعض في دراستها بأثر رجعي، بينما في وقت الحرب نفسها كانت الضبابية قائمة.

9) الاصطدام الثقافي (العلاقات المدنية العسكرية). بطبيعة الحال ففضلا عن وجود كثيرا تنافر في التخيرات ونظرة الأمن القومي بين المكوّنين - فهناك عوامل أخرى ذاتية مثل الاختلاف الثقافي والخبراتي وطريقة استخدام اللغة وتعدد مستويات التحليل وماهية معايير الانجاز.. وكل هذا يقود لتضاد حقيقي. والحقيقة - وجود قيادة مدنية ذات خبرة معقولة بالاستراتيجية، ليس فقط تنزع لنفسها استحقاقا بالقيادة (في ظل النظرة الترفعية للمكون العسكري أمام المدني)، ولكنها تحل مشكلات جوهرية في الأخير تزيد من تقديره لها بالتالي - قدرتها على الفصل بين التنازع بين الأسلحة Interservice Rivalry مثلا ليس فقط في الميزانية والهيمنة ولكن تعزف المهمة الاستراتيجية والتوظيف الفردي والمشارك عملياتيا بين الأسلحة.. وقل ذلك على رفع إدراك القيادة العسكرية ذاتها فوق النسق العملي والتكتيكي.. وأذكر قول روبرت سميث في سيمينار حين قال - وقد كان أرفع عسكري بريطانيا وأكثرهم بهرجة وشهرة - أنه لم يدرك حقيقة معنى الاستراتيجية إلا بعد خروجه على المعاش وتفرغه للدراسة والتأمل والبحث.

أخيراً، أهم معنى طرحه كولن جراي بشكل مستجدّ في كتابه، هو "الأثر الاستراتيجي" (Strategic effect). وإن كان استعار فكرة جي سي وايلي وحدّده بأنه ال(control). لكنه لا ينبغي أن يكون مجرد (control) وإنما يتربط بشكل نسبي وموضوعي بالإرادة السياسية للخصم، وهذا أهم شيء كما أشرت.

أدوار الاستراتيجي وتكيفاته

- الاستراتيجي قد يكون منظرًا، وقد يكون (Conceptualizer-executive) أي له درجة من الإلمام التنظيري مع القدرة على تسييقه في مفهوم الصراع الذي يحتك به، وعلى صياغته في خطط. قد يكون مدنيًا وقد يكون عسكريًا.

- فيما يخص العسكري المفاهيمي/التنفيذي (وليس المنظر)، القادر على استنزال السياق النظري إلى الحادثة وفي الوقت ذاته منقذ، فهذا له أدوار معينة. قد يقوم بأدوار أساسية كأن يكون مخططًا عسكريًا بالمعنى الاستراتيجي. أيضًا هو (Theorist and planner)، و (Commander manager-bureaucrat) (trainer leader). بيروقراط لأن هناك مؤسسة موجودة بكل تشابكاتها وتعقيداتها والخلافات المؤسسية والشخصية والمواردية والتنازعات وغيرها. هناك أشخاص ليست لديهم القدرة على الدخول إلى هذه المساحة البيروقراطية؛ بالتالي لا يصلحون لدور القائد الاستراتيجي المنفذ. قد يصلح كمنظر. جزء كبير من الإشكال في مساحة التنفيذ هي البيروقراطية والإدارة والموارد والتشبيكات المعقدة/المهلكة لمن ليس لديهم القدرة على توليها.

لكن بشكل ثانوي، غالبًا ما يقوم هذا العسكري المفاهيمي التنفيذي بدور سياسي له علاقة بال politics؛ وهذا تحفظ مهم لا بد منه. لأن المؤسسة العسكرية تشبه جماعة ضغط على صانع القرار؛ بالتالي إذا لم يكن لديه القدرة على إتمام هذه الترييبات لن يستطيع أن يقدم ما يطرحه من نظرية استراتيجية لحسم الصراع، أو حتى لتغيير التوجهات والخيارات.

بشكل معياري: المؤسسة العسكرية لا تتدخل في السياسات؛ لكن بشكل واقعي نجد أن الواقع ذاته مبني على درجة عالية من politics في صنع السياسة وصنع الاستراتيجية، فلو لم يمارس درجة معقولة من politics لن يستطيع أن يقدم أو يطور أو يضع أفكار استراتيجية نابعة من المؤسسة العسكرية على طاولة صانع القرار.

أيضًا، هناك بعض التحفظات على الكتاب، متمثلة في:

- 1) تعقُّد وبهرجة اللغة.
- 2) غموض تعريف الأثر الاستراتيجي وتكليفه، وربطه بمسارات الاستراتيجية تبعًا لطبيعة الحرب.
- 3) غموض في علاقة النظرية والتطبيق. (تفاعل تبادلي)
- 4) إشكال مستوى العمليات، وضعف تناول فن العمليات والاشتباك معه.
- 5) غموض تشكيل العقيدة القتالية وعلاقتها بالاستراتيجية، ودينامية ذلك، وفقر الأمثلة.
- 6) عدم تناول مستقص لعوامل الصحة المؤسسية، والمشكلات العلائقية في مؤسسة الاستراتيجية بين السياسي والعسكري.
- 7) عدم وضوح الصورة الكلية في جوانب: القابلية الاستراتيجية، وتعوُّقها، وبالأخص مساحة التطبيق.

ختامًا، يقول كولن جراي:

“Tactical superiority is likely to prove disastrous when strategy is weak or policy is ill judged: soldiers will be doing the wrong things well, and for the wrong reasons!”

التفوق العسكري التكتيكي غالبًا ما يتحول إلى كارثة إذا كان هناك ضعف في الاستراتيجية أو في السياسة. سيفعل الجنود الأمور الخاطئة بتميز ولأجل هدف خاطئ.

- أسوأ ما في هذا الأمر أنه يمنح أمانًا كاذبًا، وعدم مراجعة للاستراتيجية، والأخطر أنها توسع من مستوى الاشتباك والعداء؛ لوجود إغراء بالقوة العسكرية الحاسمة ما يترتب عليه فتح مساحات واسعة من الجبهة تفوق مستوياته الضعيفة أصلاً. وفوق كل ذلك: أنه يمضي في مسار خاطئ ولأجل أهداف خاطئة.
- النجاحات التكتيكية في ظل استراتيجية خاطئة، أسوأ من تكون فاشلاً على جميع المستويات.
- التميز العسكري والتكتيكي في ظل الضمور السياسي والاستراتيجي، ربما يكون نقمة وليس نعمة.